

# American Gods: صورة أميركا الحقيقية

ضمنت خليط من الأمانة المخلصة لرواية نيل غايمن الملحمية والخيالة السافرة لها. يرصد المسلسل الجديد (برايان فولر ومايك غرين - شبكة Starz) معنى أن يكون المرء أميركياً اليوم. فهل نرى أجزاء جديدة، ويصبح «لعبة العروش» مجرد ذكرى جميلة؟

لندن - سعيد محمد

رواية نيل غايمن الملحمية عن رؤيته للولايات المتحدة، تلك البلاد الأشبه بفانتازيا غريبة عجيبة، تنتقل إلى الشاشة في إنتاج بصري مذهل، لتحكي قصة سقوط الآلهة القديمة التي جلبها المهاجرون معهم في حقائبهم، لمصلحة صعود آلهة أميركية جديدة كالعولة، والميديا، والتكنولوجيا، والإنترنت، والأسواق المالية، والمخدرات، والمشاهير، في صراع جبارة يدفع ثمنه البشر البائسون. إذا حكمنا على إقتباس بريان فولر ومايكل غرين لرواية غايمن American Gods (آلهة أميركيون) من الحلقة الأولى التي بثت في 30 نيسان (أبريل) الماضي على «مازون فيديو»، فإننا لا شك مقبلون على عمل فني ساطع سيجعل من «لعبة العروش» مجرد ذكرى جميلة. من النص الروائي الأصلي المتسم بالعبقريّة، إلى التكوينات البصريّة الخارقة والتصوير الشديد الشعريّة لمعالم أميركية حقيقيّة بالوان، كأنها الكعبة التي تسكن قلب المكان، مروراً بأداء ممثلين يلبق بأدوارهم كآلهة، وإنهاءً بمشاهد العنف والجنس المجنون. جورج آر. آر. مارتن (مؤلف «لعبة العروش») حتماً سيموت غيظاً!

يبدأ الموسم الأول المكوّن من ثماني حلقات بمقدمة يحكي لنا الزاوي فيها قصة في عام 813، عندما وصلت سفينة فايكينغ إلى شواطئ أميركا الشماليّة بعد عناء شديد. لكن رجالها يلقون لدى نزولهم إلى اليابسة بين مقاومة شديدة من السكان المحليين، ورياح لا تهب كي يمكنهم أن يعيدوا أدرأجهم. يقدمون عندئذ على إيقاع الألم بأنفسهم تضحية لإلههم - رب كل الآباء - لكن الإله لا يعبأ بهم. ولأنّ إلههم هذا رب حروب ودماء، يضطرون لتنظيم معركة دموية بينهم لعلّ الرب يلتفت إليهم. وفعلاً، بعدما فني معظمهم في القتال، إمتلأت الأشرعة بالرياح، وصار ممكناً العودة إلى الوطن. تنتهي هذه المقدمة هنا، ولن يكون لها امتداد في العمل لاحقاً، لكنها قالت لنا في دقائق قليلة كل شيء تقريباً: الآلهة والمخلوقات الأسطورية تنتقل إلى حين الوجود فقط عندما نؤمن بها. وتلك مأساة البشرية، إذ أن الإيمان ليس مجاناً. فهو يتطلب تضحيات قد تؤدي بصاحبها إلى الموت أو القتل. الأميركيون الأصليون كان عندهم آلهتهم من دون شك، والمهاجرون الذين قدموا

إلى أميركا جلبوا معهم آلهتهم. الخط الناظم للرواية - والمسلسل - وأبدعت في قوله المقدّمة هو أنك لن تنجو وتكون أميركياً قط، إلا إذا تخلّيت عن الهتك القديمة وقبلت حكم آلهة المكان الجديد. وبلغة الواقع أن تتكلم الإنكليزية، وتلبس تي - شيرت، وتتسمّى بإسم غربي، وتشاهد كرة القدم الأميركية، وتقضي حياتك في عبادة التكنولوجيا والميديا الحديثة، والعقاقير والشهرة الفارغة، وتتناول الهامبرغر، وتقف وتضع يدك على قلبك عند عزف النشيد الوطني الأميركي.

American Gods، عمل ينفذ إلى قلب مسألة تكوين الكيان الهجين المسمى الولايات المتحدة. نيل غايمن نفسه مهاجر إنكليزي انتقل للعيش والكتابة في الولايات المتحدة، فوجدوا بلاداً عجيبية غريبة تجمع تاريخ سكانها الذين ينحدرون في غالبيتهم الساحقة من مهاجرين، وتعيد تركيبهم في نسق جديد لا يقبل من قديمهم سوى عناصر فولكلور تافهة، وتخلق لهم مستقبلاً لا يشبههم. لكنهم لا يملكون العودة إلى أوطان أجدادهم بعدما أغوتهم الآلهة الجديدة البراقة، فإتبعوها صاغرين.

يرفض غايمن الرواية الرسميّة الأميركيّة عن تاريخ المجتمع الأميركي، والتي تجعل المهاجرين الأوائل أوروبيين مؤمنين جاءوا لتحقيق تطلعات دينيّة، أم مهاجرين حاملين بالحرية والنجاح الاقتصادي المحرومين منه في أوطانهم الأصليّة، من دون أن تحكي عن عذابات سكان البلاد الأصليين أو آلام ملايين العبيد، ولا الحروب الأهليّة والإستعماريّة المتكررة. وهو قال في إحدى المناسبات إنه ضُدم عندما سمع تلك الرواية المجتزأة عن تاريخ أميركا من إبنة

الذي تلقاها عن معلمة التاريخ في المدرسة الابتدائيّة، فعزم على كتابة American Gods ليقدّم صورة أميركا الحقيقيّة، وإن من خلال نص عابق بالفانتازيا والخيال. رواية «آلهة أميركيون» ظهرت طبعتها الأولى في عام 2001، وحقت نجاحاً تجارياً كبيراً، وأعيد طبعها عشر مرات - الأخيرة منها تضمنت نصاً مطوّلاً بـ 12 ألف كلمة إضافيّة عن ذلك الذي نشر للمرة الأولى. كما ترجمت إلى لغات عدّة، ما جعلها مرشحة دائمة للتحوّل إلى عمل تلفزيوني. لكن محاولة HBO الأميركيّة لإعداد النص للتصوير فشلت رغم الجهود المتكررة من كتاب سيناريو إستعانت بهم الشركة، فاعتذرت لغايمن معللة ذلك بأن الرواية على تفرداها، إلا أنها «نص مستحيل لا يمكن إقتباسه للشاشة». وبعد سنوات، تقدّمت قناة الكابل الأميركيّة «ستارز» بعرض لشراء حقوق العمل، مكلفة فولر وغرين - الذين عملا معاً قبل ذلك على مسلسل Heroes - بالمهمة الصعبة.

بطل الرواية يدعى Shadow Moon (قمر الظل - يُوّديه ريكي ويتيل)، وهو ليس إلهاً - على كثرة الآلهة ومن يقوم مقامهم في هذه الملحمة الأسطوريّة - بل بشري قست عليه الأيام، فسجن ثلاث سنوات قضى معظم وقته فيها بالقراءة ليكون إنساناً أفضل يلبق بزوجه الحساء التي كان يتطلع للقيام من جديد. وقبل نفاذ فترة محكوميته بأيام، يستدعيه مدير السجن ليعلمه بإطلاق سراحه مبكراً كي يمكنه اللحاق بجنازة زوجته التي قتلت في حادث سير بينما كانت تضاجع أعز أصدقائه. في رحلة العودة، وقمرنا الأسمر هذا لم يتبق له شيء ليعود إليه، يلتقي على متن الطائرة برجل

غريب يُدعى «وينزداي» (الأربعاء بالإنكليزية - يُوّديه إيان ماكشين) الذي يبدو أشبه بمدع كبير، وإن كان في «الحقيقة» تمثلاً لـ «أودن»، كبير الآلهة ورب المعرفة والحكمة عند الفايكينغ الإسكندنافيين القدماء. وينتهي «قمر الظل» مرافقاً لـ «وينزداي» في رحلته عبر أميركا، التي يحاول من خلالها تجميع جهود كل الآلهة القديمة من أساطير مختلف المهاجرين إلى بلاد «الحرية»، لخوض مواجهة نهائية مع آلهة أميركا الجديدة التي



انتقال سلس من لوحة سوراليّة مذهلة إلى أخرى، لتجد نفسك فجأة في نهاية الحلقة



سحرت عقول الناس وصرفتهم عن عبادة آلهة الآباء والأجداد. فلماذا تصلي لـ «أودن» أو «أنوبيس» إذا كان جل ما تريد الحصول عليه هو ذلك الـ «أيفون» الجديد؟

يصوّر المسلسل الآلهة القديمة كأنها مغترة وصدئة، عفى عليها الزمن، وتستجدي إيمان البشر بها لتستعيد شيئاً من الرونق، بينما تظهر شخصيات الآلهة الجديدة مصقولة ولامعة ومعاصرة وملبئة بالحيويّة وتستدعي الإتياع.

لا يوجد ما هو تقليدي في مشاهد العمل. أنت تنتقل من لوحة سوراليّة مذهلة إلى أخرى بسلاسة غير عاديّة، لتجد نفسك فجأة في نهاية الحلقة. لكن مشهد الجنس الإلهي بالذات، تسبب في صدمة للمراقبين. فـ «بلقيس» ملكة سبأ (يقدّمها المسلسل كآلهة للخصب)، إنصرف الناس عنها فإضطرت للعمل كباثة هوى تصطاد الزبائن على الإنترنت لتستجدي إيمان

الرجال بها. تقوم بمضاجعة رجل هامشي، تطلب إليه في قلب المشهد الغرامي أن يعبدها، وعندما يؤمن، يحدث الأمر العجيب وينزلق الرجل بكامله داخلها. المشهد على جنونه بالطبع، ليس مقحماً على النص، بل يطرح معاني عميقة عن معنى الإيمان، وفكرة الحب والسعي للتوحد مع الآخر من خلال الجنس، وإن كان قدّم في إطار مشهد عري كامل.

المسلسل - وفق فولر وغرين - هو خليط من الأمانة المخلصة للعمل الروائي والخيالة السافرة له. فكثير من المشاهد هي بمثابة ترجمة حرفيّة للنص، لكن بعضها الآخر من تصوّراتها الشخصية، وإستعارات من أعمال أخرى لغايمن نفسه. كما أن أدوار بعض الشخصيات تم توسيعها فيما تغيرت البرمجة الزمنية لبعضها الآخر. لكن الرجلين أكدا أن العمل كان دائماً بالتنسيق مع غايمن، وهو بدأ سعيداً بالمنتج النهائي الذي أخرجه ديفيد سليد (مخرج «هاننبال»، و«إكليبيس»).

يغطي الموسم الأول حوالي ثلث الرواية الضخمة، وهناك توجه في حال نجاحه - إلى إنتاج موسم ثان وربما ثالث. ويبدو أن إنتاج الموسم الأول قد بعث موجة من الحماس في قلب غايمن الذي قال للصحافة إنه سيسرع في كتابة جزء جديد للرواية، سيكون بمثابة «آلهة أميركيون 2».

«آلهة أميركيون»، أفضل ما يمكن قراءته من النصوص لفهم معنى أن يكون المرء أميركياً اليوم. إنها وإن إنتمت إلى تلك الميثولوجيات القديمة عن الآلهة والمخلوقات الأسطورية، لكنها تقول الحقيقة تامة، في زمن (ما بعد) الحقيقة المليء بالزيف والخداع والزعماء المنتقخين.

ريكي ويتيل  
shadow  
(moon)  
وايان  
ماكشين  
(وينزداي)  
في مشهد  
من العمل

